بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس: 33 **الأستاذ: سماحة العلامة الشيخ معين دقيق**

الدرس: تفسير القرآن الكريم **المبحث: سورة الإنسان**

التاريخ:01\03\2023 م **كتبه: عبدالله ضيف الستري**

المطلب الأخيرة في الآية التي نبحث عنها ترتبط بجواب عن سؤال قد يثار، وهو أنه لو أن شخصاً أطعم صنفاً من هذه الأصناف الثلاثة -يتيم أو مسكين وأسير- أو صنفاً خارجاً عن هذه الأصناف كأن يطعم ابن سبيل، أو قريباً من أقربائه، وبالشروط الثلاثة وهي ﴿عَلى حُبِّه﴾ فهو محتاج إلى هذا الطعام، ﴿لِوَجْهِ اللَّه﴾ فهو مخلص في الإطعام، ﴿إِنَّا نَخاف﴾ لأجل خوف ذلك اليوم. فتوفرت تمام الشروط الثلاثة، لكنه لم يطعم ويستوعب الأصناف الثلاثة، فهل حينئذ يندرج هذا المطعم تحت عنوان الأبرار، ويترتب على هذا المطعم الأمور الثلاثة التي سوف تأتي من قوله تبارك وتعالى: ﴿فَوَقاهُمُ اللَّه﴾ ﴿وَلَقَّاهُم﴾ ﴿وَجَزاهُم﴾ أو لا؟ فهذه الآثار وذاك العنوان يختص بمن أطعم الأصناف الثلاثة.

مناسبات الحكم والموضوع في هذه الآية تقتضي أن نفرض شرطاً رابعاً، وهو الذي يحل لنا الإشكالية، وهذا الشرط الرابع هو أن يكون هذا الإطعام في محله المناسب الذي يرضاه الباري تبارك وتعالى، ومما يعتاد عليه الإنسان، لا مجرد لمرة واحدة.

من أين فهمنا هذا؟ من قوله تعالى: ﴿يَسْئَلُونَكَ ماذا يُنْفِقُونَ قُلْ ما أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتامى وَالْمَساكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَما تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾[1] عندما سألوا عن أي شيء ينفقونه، كان مقتضى الظاهر أن يعين له ما ينفقونه، ينفقون درهم، دينار، لباس، مأوى، فهذا كان ينبغي. فدلت الآية على أن ليس هذا هو المهم، وإنما المهم أن تضع ما تنفقه في موضعه المناسب.

[1] البقرة: 215

هذه الآية الشريفة في ذكرها للمطعَمين، نلاحظ أن هناك مطعَماً فُقدَ من يُطعمه وهو اليتيم، هناك مطعَم لا قدرة له على العمل وإطعام نفسه وهو المسكين، وهناك مطعَم وإن كان لا يوافقني في العقيدة لكن الله سبحانه وتعالى أمرني بالإحسان إليه وهو الأسير.

مع تطابقها مع الواقع الخارجي، هي التي جعلت الخصوصية لذكر هذه العناوين، لتطابقها لشأن النزول، لا أن هذه العناوين الثلاثة هي التي توجب الدخول في سلك الأبرار، ويترتب عليه ﴿فَوَقَاهُمُ اللَّه﴾ ﴿وَلَقَّاهُم﴾ ﴿وَجَزاهُم﴾.

وإنما ما نفهمه من الآية هو تحقق هذه الشروط الثلاثة، أن الإنسان يؤثر الغير ولو كان هو محتاج إلى هذا الشيء ﴿عَلى حُبِّه﴾ وأنه إنما يطعم فهو يُطعم ﴿لِوَجْهِ اللَّه﴾ سبحانه وتعالى، وأنه يفعل ذلك تمهيداً لذلك اليوم الذي يخاف منه الإنسان ﴿إِنَّا نَخاف﴾.

هذه هي الشروط التي نفهمها من الآية المباركة وهذه العناوين الثلاثة هي عناوين لمورد الحاجة إلى الإطعام، وليس المقصود منها الحصر أو الاستيعاب في هذه العناوين الثلاثة.

نعم لابد أن يكون ذلك ملكاً حتى تدخل في سلك الأبرار، كما نفهمه من التعبير بالأفعال المضارعة في هذه الآية وما قبلها وما بعدها الذي يدل على الحدوث والتجدد. لا لكونن الفعل صدر منه مرة واحدة في حياته فيصار من الأبرار. هذا تمام الكلام في هذه إلا الثامنة.

الآية التاسعة: ﴿إِنَّما نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزاءً وَلا شُكُورا﴾.

تتحدث هذه الآية المباركة عن خصلة الإخلاص، الإخلاص في حقيقته وجوهره عبارة عن تصفية السر والباطن عمن دون الله. الإخلاص لا يتقوم بإخفاء العمل، قد تخفي العمل، ولكن الباطن والسر لا يكون خالصاً، فلا يسمى إخلاصاً.

الإخلاص إذاً: عبارة عن تصفية الباطن عن ملاحظة سوى الله تبارك وتعالى، سواء في عملك تضرعاً وخفية أم كان عملك أمام الناس أمام الناس. المهم لتحقق الإخلاص أن هذا الباطن يصفى عمن سوى الله تبارك وتعالى.

الإخلاص في المفاهيم الإسلامية والقيم الدينية هو أساس، هو الذي يجعل العمل خزفة لا قيمة لها إذا فقد، ويجعل العمل مع وجوده جوهرة لا يعلم قيمتها إلا الله، هو الذي يجعل ذلك القليل كثيراً، وهو الذي بعدمه يجعل الكثير لا قيمة له. على أساسه يوزن العمل. بالإخلاص تنحل تلك المفارقة، وهي أنك أيها الإنسان تريد أن تحصل على جنة عرضها السماوات والأرض بأعمال من الناحية الزمنية أو من ناحية المقدار لا قيمة لها، الإخلاص هو الذي يعطي القيمة، الإخلاص هو الذي يرفعها ويقفز بها قفزة نوعية، حينئذ تكون تستحق تلك الجنة التي عرضها السماوات والأرض، وفيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على بال بشر.

ما هو قيمة أربع دقائق أو خمس دقائق من الصلاة؟ الذي يعطيها القيمة هو تصفية السر عما سوى الله تعالى.

الإخلاص هو الذي أعطى القيمة لأقراص من شعير، لا قيمة لها بموازين عالم الدنيا، عدم الإخلاص هو الذي أحبط العمل قوله تعالى: ﴿وَالَّذينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ رِئاءَ النَّاس﴾[2] هذا لا قيمة له، فعندما ينفق عبد الرحمن بن عوف وأمثال هؤلاء الأموال طائلة، بل ينخلعون من ثرواتهم الكبيرة فلا قيمة له عند الله سبحانه وتعالى؛ لأن هذا القلب لم يصفَ عما سوى الله تبارك وتعالى.

بهذه التصفية يصبح العمل المتواضع نامياً وزاكياً عند الله سبحانه وتعالى، ولا يحصي ثوابه إلا الله تبارك وتعالى ﴿إِنَّما نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّه﴾ على سبيل الانحصار. وأكد ذلك بقوله أيضاً: ﴿لا نُريدُ مِنْكُمْ جَزاءً وَلا شُكُورا﴾ فهذا تأكيد للإخلاص، تأكيد ﴿نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّه﴾ لأني إذا اقدمت على هذا العمل وأنا أريد من يشكرني، أريد من يذكرني، أريد من يشير إليّ في هذا العمل، فحينئذ لا يصدق عليه ﴿إِنَّما نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّه﴾.

هذا هذه الآية الشريفة في علم المعاني من مصاديق الإطناب، وهو أن الألفاظ زائدة على المعنى، المعنى هو يقول المطعم إني مخلص في عملي، فأضاف إليه شيء -أي كان يستطيع أن يقتصر على قوله ﴿إِنَّما نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّه﴾- لتأكيد هذه الحقيقة التي نحتاج إلى تأكيدها.

---

[2] النساء: 38

ولذا نجد في طلب العلم في الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام: (مَنْ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَمِلَ بِهِ وَعَلَّمَ لِلَّهِ دُعِيَ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ عَظِيماً فَقِيلَ تَعَلَّمَ لِلَّهِ وَعَمِلَ لِلَّهِ وَعَلَّمَ لِلَّهِ)[3]. قيل تعلم الله وعلم الله وعمل لله، هذا التأكيد كان يستطيع أن يكتفي بالاقتصار على صدر الرواية، فهذا التأكيد لبيان أهمية موقعية الإخلاص.

وهذه ليست من الأمور السهلة، كما -ربما نقلت في بعض الجلسات السابقة- عن بعضهم أنه قضى ثلاثين سنة صلاة، كان يصليها في الصف الأول على اليمين من الجماعة، وهي مستحبة، وتزداد الأجر عليها؛ لأنه جاء في يوم من الأيام متأخراً، فكان الصف الأمامي مليئاً، فصلى في الخلف، فشعر بشيء في نفسه، فالتفت إلى نفسه كل هذا الذي أتيت به لم يكن خالصاً لله سبحانه وتعالى.

فالإخلاص كما هو شرط للصحة، هو شرط للقبول، فإن الرياء يبطل العبادة، والعبادة -وكل الأعمال الأخرى- لا تكون مقبولة إلا إذا حصل تصفية السر عما سوى الله سبحانه تعالى.

وفقنا الله جميعاً لذلك إن شاء الله.

---

[3] الكافي (ط - الإسلامية)، ج1، ص: 35